



Forum Tunisien pour les Droits Economiques et Sociaux
Observatoire Social Tunisien

CAHIERS DU
FTDES N°6

Forêts tunisiennes

Entre marginalité territoriale et valorisation
des ressources naturelles.

Regards croisés entre gestionnaires et usagers

Coordination : Brahim Jaziri

Février 2022



المدينة والمجالات الغابية شبه الحضرية.

أي علاقة؟

دراسة حالة بنزرت ومجالها الغابي الطرقي

عفاف بوسمينة¹ و آية حكيري²

الملخص

تحاول هذه الدراسة معالجة إشكالية العلاقات بين المدن والمجالات الغابية شبه الحضرية. ويسعى هذا العمل، انطلاقاً من تحليل حالة مدينة بنزرت في الشمال الشرقي التونسي، إلى التعريف بالمجالات الغابية الطرفية لهذه المدينة والتوقف عند مختلف المشاكل التي تشكو منها جراء تعقد هياكلها العقارية وتعدد المتدخلين فيها وظاهرة الاكتساح العمراني الحثيث لهذه الفضاءات الخضراء الذي شهدته خاصة منذ 2011 والمخاطر البيئية المنجّرة عن ذلك. كما تهدف الدراسة إلى الوقوف عند مختلف الاستخدامات الوظيفية لهذه المجالات الغابية وإبراز تباينها المجالي.

اعتمدنا في هذه الدراسة إلى جانب التحليل البيبليوغرافي المعمق ومعطيات أرشيف الإدارة العامة للغابات، على بيانات استمارات واستقصاء ميدانيين أنجزت على عيّنات من زائري هذه المجالات الغابية الطرفية لمدينة بنزرت. كلمات دلالية: غابة شبه حضرية، استخدامات وظيفية، مشاكل عقارية، اكتساح عمراني، زائرون، بنزرت.

¹ طالبة دكتورا، جامعة تونس وجامعة باريس 8

² طالبة مرحلة ثالثة، جامعة تونس.

Abstract

Our contribution focuses on the study of the issues of peri-urban forest areas. This work seeks, starting from an analysis of the situation of the town of Bizerte in the North-East of Tunisia, to define the peripheral forest spaces of this town and to stop at the various problems because of the complexity of its land structures and the multiplicity of its players and the phenomenon of rapid urbanization, particularly since 2011, and the resulting environmental risks. The study also aims to take stock of the different functional uses of these forest areas and to highlight their spatial nuances.

In addition to the in-depth bibliographical analysis and data from the archives of the General Directorate of Forests, we relied on data from questionnaires and field surveys carried out with samples of visitors to these forest areas on the outskirts of the city of Bizerte.

Keywords: peri-urban forest, functional uses, land issues, urbanization, visitors, Bizerte.

مقدمة

أدت التحوّلات الديموغرافية الحضرية وتغيّر نمط العيش في المدن إلى تزايد الطلب على الأنشطة الترفيهية. وقد أحدثت حالات الإجهاد النفسي التي عاشها السكان في المدن خاصة خلال سنتي 2020 و2021 بسبب إجراءات الحجر الصحي الشامل ومنع التنقل بين الجهات المتخذة لمجابهة جائحة كورونا (كوفيد 19) إلى مزيد تردد المجتمعات الحضرية على المجالات الغابية المجاورة للمدن حيث تزايد الاستخدام الترفيهي للغابات بشكل كبير³. وقد نتجت عن هذه الوضعية تعدد الأدوار التي تلعبها المساحات الغابية الحضرية وشبه الحضرية حيث أصبحت الوظائف الاجتماعية والترفيهية لهذه الفضاءات الخضراء طاغية على الوظائف الأخرى الاقتصادية والبيئية والمشهدية.

³ Jean Marc Offner, *Coronavirus, et après ? Pour de nouveaux compromis urbains, Métropolitiques*, 2020, 5p.

تشهد المناطق الخضراء (حدائق عمومية ومجالات غابية...) المتواجدة داخل المجال الحضري لمدينة بنزرت أو على أطرافها تزايداً مطرداً في استخداماتها الترفيهية. ولقد أدت مختلف أوجه تدخلات الأطراف الفاعلة العمومية والخاصة في المجال الغابي الحضري وشبه الحضري لمدينة بنزرت من جهة، وصبغته العقارية من جهة أخرى، إلى حصول تضارب وسوء حوكمة في ادارته، مما عمق من ظاهرة الربع العقاري والاكتماس العمراني لهذه المجالات الخضراء وأدى ذلك إلى بروز اخلالات عميقة في توازنها البيئية والمشهدية. وتهدف هذا الدراسة إلى تحقيق أهداف ثلاثة تتمثل أولاً في التعريف بهذه المجالات الغابية الطرفية لمدينة بنزرت. وفي مرحلة ثانية، دراسة مختلف الانتهاكات التي تتعرض إليها المجالات الغابية الطرفية لبنزرت بفعل الزحف العمراني وتأثيراتها على المحيط. وأخيراً، تحليل الاستخدامات الوظيفية للمجالات الغابية الطرفية لمدينة بنزرت. ولبلوغ هذه الأهداف، تمثلت منهجية البحث في العمل الميداني من خلال القيام باستمارة شملت عينات من زوار المنتزه البلدي ومنتزه الريف الخاص وغابة الناظور وكذلك اللقاء المباشر مع الفاعلين والمشرفين على هذه المجالات (البلدية والمشرفين على المنتزه الحضري).

1. مجال غابي شبه حضري يشكو من معوقات عديدة

يبين مثال التهيئة العمرانية لسنة 2008 أن مدينة بنزرت تحتوي على غابتين رئيسيتين وهما غابة الكرنيش شمال المدينة وجزء من غابة الرمال في جنوبها الشرقي. وتمسح غابة الكرنيش داخل مثال التهيئة 390 هكتارا وهي تبعد حوالي 5 كم عن مركز المدينة (شكل 1).

وأشجار الشوارع والأشجار في المتنزهات والحدائق والأشجار في الأماكن المهجورة"⁶. وتُعرّف الغابة الترفيحية وفقاً للمادة 218 من قانون الغابات التونسي بأنها "غابة أو قسم من غابة ذات اهتمام سيحي أو ترفيهي". يتم إنشاء غابة ترفيحية بمرسوم (المادة 219) وتُعهد الإدارة إلى المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية.

2. غابات اصطناعية ذات طابع حمائي على أطراف مدينة بنزرت

تكسو غابة الكرنيش⁷ جبالا رملية وكلسية قليلة الارتفاع، حيث لا يتعدى ارتفاع جبل الناظور 258 مترا وجبل الدمنية 203 مترا وجبل كشريد 174 مترا. وتمثل غابة الكرنيش من النوع الاصطناعي الناجم عن أشغال تثبيت الكثبان الرملية المتحركة وعمليات التشجير المنجزة منذ سنة 1904⁸. وهي أشغال ترمي إلى أغراض عدة، نذكر منها صون المنشآت المائية والأراضي والبساتين الفلاحية التي كانت توفر حاجيات سكان المدينة وحماية الأنشطة العسكرية على الواجهة البحرية. وكان التهديد الرئيسي لهذه الكتل الرملية المتحركة يتمثل في تقدمها نحو القارة تحت تأثير الرياح المهيمنة والنشطة التي تهب من جتي الغرب والشمال الغربي. وتتكوّن التشكيلات النباتية الأصلية المنتشرة على جبال الناظور والدمنية والكشريد أساسا من الضرو والعرعار الفينيقي والطاكا التي تتواجد على التربة الرملية، إضافة إلى الزعر المتوطن على الترب الكلسية الفقيرة و الكشريد المنتشر على الواجهة الساحلية⁹. وقد أدّى الاستغلال البشري اللاعقلاني منذ القديم لهذه التشكيلات النباتية الأصلية لهذه المجالات الغابية إلى تدهورها مما جعلها عاجزة على تثبيت الكثبان الرملية المتحركة. ولحد من الترمّل، تم اختيار الصنوبر الحلبي كنبته معتمدة في عمليات التشجير وقتئذ. وقد بينت هذه النبتة قدرتها العالية على

⁶ FAO, *Directives sur la foresterie urbaine et périurbaine*, Rome, 2017, 187p.

⁷ اعتمادا على التسمية المعتمدة في التقارير الرسمية لدائرة الغابات ببنزرت. وتمتد غابة الكرنيش من ضاحية الكرنيش في مدينة بنزرت شرقا إلى حدود هنشير الساحل غربا وتضم غابات فرعية مثل غابة الناظور وغابة عين الداموس.

⁸ Marc Motte, *Fixation et reboisement des dunes maritimes en Tunisie et plus spécialement dans la région de Bizerte*, revue forestière française, 1963, pp. 449-466.

⁹ Michel Gounot et Antoine Schoenenberger A., 1967, *Carte phyto-écologique de la Tunisie septentrionale au 1:2.000.000e. Feuille II : Bizerte-Tunis (Notice détaillée)* Vol. 40 fascicule 1, 1967, 340 pp.

تثبيت الرمال وهي اليوم تكوّن غابة كثيفة تغطي قرابة 70 % من مجالها، في حين تحتل الأراضي البيضاء والبناءات والطرق المساحات الباقية.

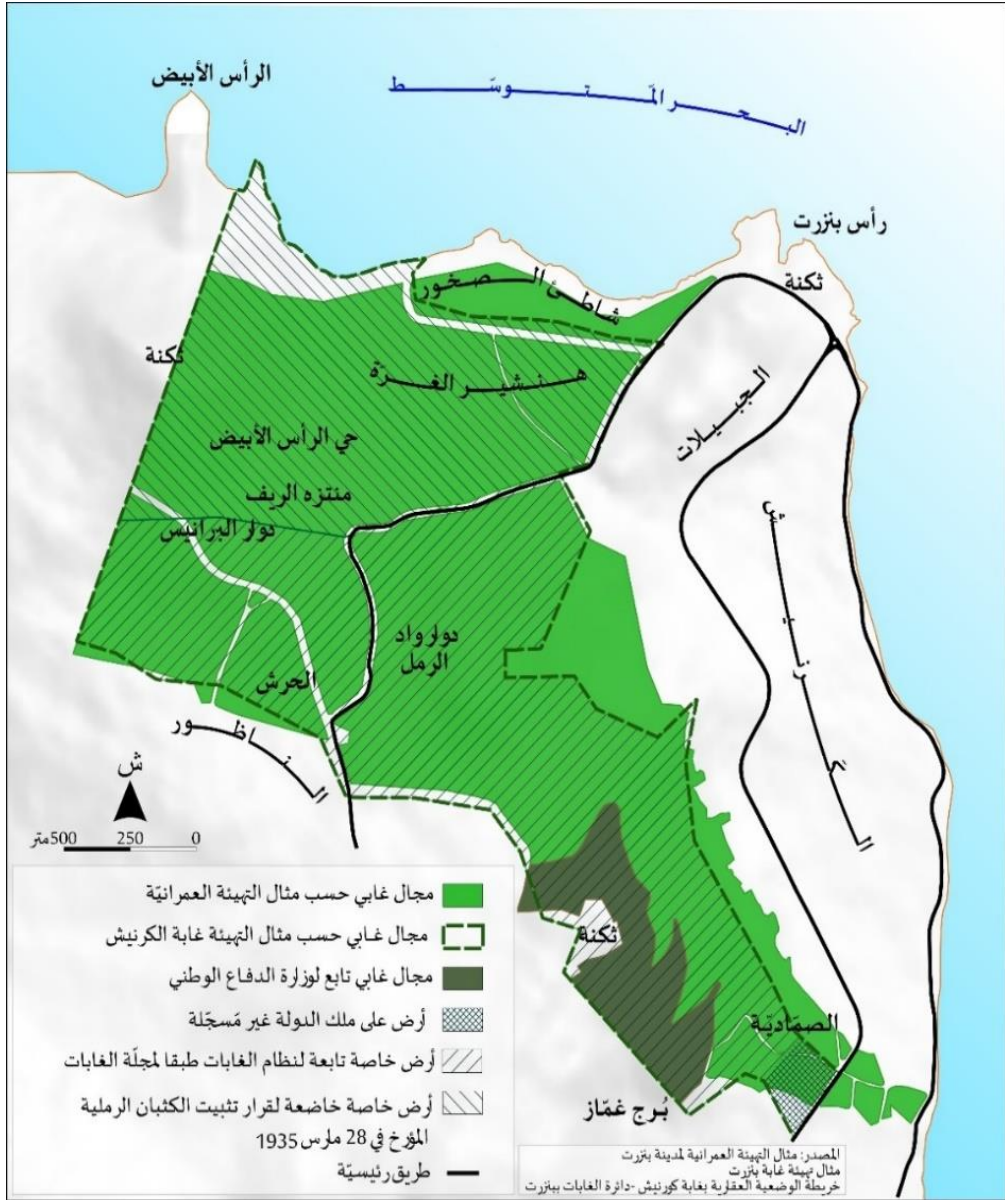
3. وضعيات عقارية معقدة

قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بانتزاع مساحات كبيرة من أراضي الكرنيش والناظور ثم تسجيلها لفائدتها لاستخدامها في أغراضها العسكرية¹⁰. وتم ارساء أهم منشآت الدفاع والمراقبة العسكرية في هذا القطاع من المدينة، على الجبال والمناطق الإستراتيجية مثل جبال رارة والدمائنية وكشريد والناظور وكاب بنزرت. وبعد الاستقلال، واصلت الدولة التونسية تسجيل مساحات غابية تقع على الكرنيش وفي عين داموس وعلى الحدود المنطقية البلدية وخارجها لصالح ملكها الخاص. وهي في الأصل أراض على ملك الخواص تغطي ما يقرب من 169 هكتاراً وكانت جزءاً من عملية إصلاح الكتبان الرملية الكبيرة التي نفذتها السلطات الاستعمارية في إطار نظام عقود التشجير¹¹. وتم في فترة لاحقة إخضاع المنطقة بأكملها لنظام الغابات، وبالتالي، أصبحت تحت سيطرة الدولة. وتبلغ المساحة الجمليّة لغابة الكرنيش 1350 هكتاراً منها 380 هكتاراً على ملك الدولة الغابي و970 هكتاراً على ملك الخواص خاضعة لقانون الغابات. وتشمل المساحة المشمولة برسوم عقارية 380 هكتاراً¹² وبالإضافة الى ذلك، توجد أراض على ملك الدولة غير مسجّلة إلى جانب أراض غابية تابعة لوزارة الدفاع الوطني. وتزداد الوضعيّة العقارية تعقيداً عند مقارنة مثال تهيئة غابة الكرنيش ومثال التهيئة العمرانيّة حيث يتبين وجود عدم تطابق بين حدود امتداد المجال الغابي والوضعيات العقارية داخله (شكل 2).

¹⁰ Mourad Ben Jelloul, *Bizerte : Promotion foncière et immobilière et croissance de l'espace urbanisé*. FSHST, Tunis, Série 2, Géographie, 1999, 206p

¹¹ المرسوم العليّ الصادر في 28 مارس 1935

¹² معطيات مأخوذة من المندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية ببزرت - دائرة الغابات.



شكل 2: تعدد الملكيات العقارية لغابة الكورنيش

وتمثل الأراضي غير المسجلة مجالاً مناسباً لتطوير التقسيمات العقارية غير القانونية وكان هذا المجال بسبب موقعه الاستراتيجي المطل على البحر، هدفاً لحركة واسعة للمضاربة العقارية والتقسيم غير القانوني.

II. توسع حضري عشوائي على حساب المجال الغابي الطريف وتزايد للمشاكل البيئية

1. انتهاكات عديدة ومتنوعة للمجال الغابي الطرفي لمدينة بنزرت

تعددت الانتهاكات التي طالت غابة الكرنيش وتنوعت أشكالها ويرجع سببها الرئيسي إلى ضعف الرقابة من طرف السلطات العمومية وعجزها عن إيقاف البناء غير المرخص فيه في هذه الفضاءات الخضراء وبالرجوع إلى احصائيات دائرة الغابات ببنزرت بين 2011 و2019، يتضح أن العدد الجملي للانتهاكات بغابة الكرنيش قد بلغ 295 حالة وهو ما يُمثّل 26.6 % من مجموع الانتهاكات المسجّلة بكامل الغابات الساحلية بولاية بنزرت. وتعتبر المخالفات من صنف "تشديد الاقامات في المجال الغابي" من الانتهاكات الأكثر تواترا حيث مثلت لوحدها 79.5% من العدد الجملي للمخالفات المسجلة خلال الفترة والمقدرة ب 66 حالة مرصودة (الجدول 1). وأدت جملة هذه المخالفات إلى قلع 5244 شجرة والتحوّز على مساحات غابية فاقت 1.5 هكتارا. ويبلغ عدد جرائم كسر الأشجار الغابية 62 حالة من مجموع 399 مخالفة مسجلة. ومن حيث توزع هذه المخالفات على المجالات الغابية لبنزرت، يتبين بوضوح ان غابات الصماديّة والرأس الأبيض وبدرجة اقل قرية الناظور هي الاكثر عرضة لهذه الأصناف من الانتهاكات. وتظهر عديد الشواهد وجود شبكات سرية متكونة من رجال أعمال ومسؤولين إداريين نافذين في قطاعات مختلفة في الدولة وراء هذه الاعتداءات، حيث تم استخدام عقود ملكية وهمية¹³.

¹³ <http://www.realites.com.tn>

جدول 1: انتهاكات المجال الغابي بغابة الكرنيش وبقية الغابات الساحلية بولاية بنزرت

النسبة من المجموع	مجموع الغابات الساحلية ¹⁴	غابة الكرنيش	
26,6	1111	295	العدد الإجمالي للانتهاكات
48,3	263	127	عدد انتهاكات ¹⁵ كسر الأشجار الغابية
0,1	1098	1,5	مساحة الغابات التي تم جرفها (هك)
79,5	83	66	عدد مخالفات تشييد اقامات في المجال الغابي
15,5	399	62	عدد محاضر كسر الأشجار الغابية
3,4	153464	5244	قلع الأشجار

المصدر: دائرة الغابات بنزرت.

2. اكتساح عمراني لافت للمجال الغابي الطرقي لمدينة بنزرت منذ

سنة 2011

تعرض المجال الغابي الطرقي لمدينة بنزرت الى عمليات "تشوّه" واجتثاث كبيرة نتيجة للتحضر العشوائي وتفاقمت الظاهرة بشكل لافت خاصة منذ سنة 2011. وقد أدت هذه الوضعية إلى تطور أشكال مختلفة من التحضر غير المنظم، من ذلك ظهور العديد من التجمعات السكانية داخل المجال الغابي. وتتوزع هذه التجمعات الى فئتين اجتماعيتين من الملاكين: فئة اولى ثرية ونافذة توسّعت داخل المجال الغابي مكونة أحياء بأكملها على غرار حي الصمادية¹⁶ حيث مقر سكني والي بنزرت ومنطقة الرأس الأبيض التي شهدت بروز فيلات فاخرة تطل مباشرة على البحر على ارتفاعات تفوق 100 متر، وفي المقابل، نجد فئة اجتماعية فقيرة أو

¹⁴ راس الجبل - الرمال - العزيب - بشاطر - تسكراية - رياح - أمادن - جبل السماء - سيدي مشرق

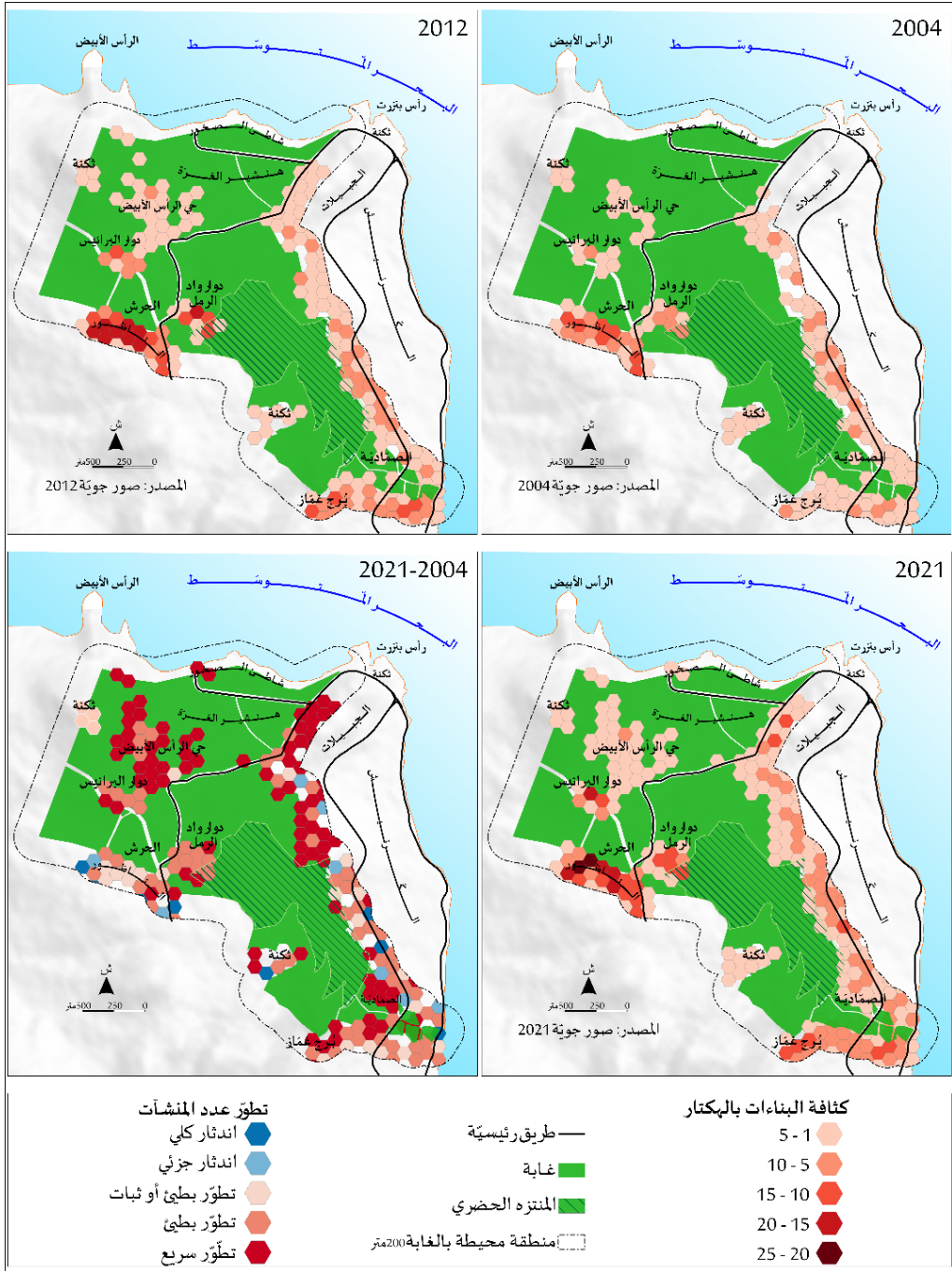
¹⁵ بدون تحرير محضر من طرف أعوان الغابات

¹⁶ Mourad Ben Jelloul, *Lotissement clandestins et accaparement frauduleux des domaines de l'Etat à la corniche de Bizerte : Acteurs, enjeux et dimension territoriale*, Les Cahiers d'EMAM, n°27, 2015, pp.2-20.

متوسّطة تقطن أساسا في قرية الناظور ودوار واد الرمل ودوّار البرانيس (طريق الثكنة) والحرش.

وتتمتع غابة الكرنيش بجاذبيّة كبيرة للسكن. ولإبراز هذه الظاهرة، قمنا بالاعتماد على صور جويّة من تطبيقه قوقل ارث لسنوات 2004 و2012 و2021. باحتساب عدد المباني المشيدة في مجال غابة الكورنيش وتمثيلها خرائطيا¹⁷ (شكل 3 وجدول 2). ونتبين بوضوح تطوّر عدد المباني من 584 الى 1129 في الفترة الممتدة ما بين 2004 و2021 أي بزيادة قدرها 84,3%. وقد سجّل حي الرأس الأبيض ازدياد عدد المباني بنسبة هي الأرفع في منطقة الدراسة، ففي سنة 2004 لم يتجاوز عدد المنازل 19، ليرتفع العدد إلى 63 في سنة 2012، اي بزيادة 42 منزل في ثماني سنوات. وبلغ هذا العدد 81 منزلا في 2021 أي بزيادة فاقت الثلاثة أضعاف. ويأتي دوار البرانيس في المرتبة الثانية من حيث نسبة تطوّر عدد المباني مسجلا ارتفاعا بـ 176,2% ما بين 2004 و2021 ليبلغ العدد 58 مسكنا بعدما كان لا يتجاوز 21 مسكنا في 2004. وقد شهدت الفترة 2004-2012 التطوّر الأهم حيث تضاعف عدد المنازل مرتين خاصة خلال سنتي 2011 و2012 التي شهدت ظهور عديد المنازل بصفة عشوائية. ونفس الظاهرة سجلت أيضا في دوار واد الرمل وبرج غماز. وفي المقابل، تميزت الفترة الممتدة بين 2012 و2021 تقلصا ملحوظا لتطوّر عدد المباني المشيدة داخل المجالات الغابية مقارنة بالفترة السابقة. ويمكن تفسير هذا الأمر بتشديد المراقبة من طرف السلطات المحليّة على المجال الغابي خاصة بعد سنة 2014 وتدخلها لهدم العديد من المباني قيد الانشاء، بالإضافة الى تقلص إمكانيات التوسّع خاصة وأن هذه الأحياء توجد عادة وسط منفرجات غابيّة أو محيطة بأراض عسكريّة.

¹⁷تم اعتماد مسافة 200 متر من محيط الغابة ثم قمنا باحتساب عدد المنازل بواسطة برنامج نظم المعلومات الجغرافية Q-Gis الذي مكنا من القيام بمجموعة التحاليل المجالية والإحصائية.



شكل 2 : تطور كثافة المباني في مجال الدراسة

الجدول عدد 2: تطوّر عدد المنشآت حسب الأحياء بين 2004 و2021

نسبة التطوّر 2021-2004	عدد الوحدات			الحي
	2021	2012	2004	
326,3	81	63	19	حي الرأس الأبيض
176,2	58	48	21	دوار البر انيس
146,8	116	94	47	برج غماز
100,0	74	64	37	دوارواد الرمل
92,7	528	393	274	الكرنيش
46,2	272	268	186	قرية الناظور
-19,6	41	22	51	البقية
84,3	1170	952	635	المجموع

3. مشاكل بيئية ناجمة عن التوسع العمراني

تشكو المجالات الغابية المتاخمة لمدينة بنزرت من مشاكل أخرى ناجمة عن ممارسات السكان المحليين والزائرين، لعل من أهمها تزايد التلوث المرتبط بتراكم الملوثات وبقايا مواد البناء الصلبة، خاصة قرب التجمعات السكانية وازدياد مستوى أخطار نشوب الحرائق الغابية وخير دليل على ذلك، الحرائق التي عرفتها غابة الناظور في اوت 2021 والتي التهمت قرابة 25 هكتارا من الغابات وتطلّب إطفائها حوالي 40 ساعة من العمل المتواصل.

III. الاستخدامات الوظيفية للمجال الغابي الطرقي بنزرت

1. غياب للإطار التنظيمي الواضح للاستخدامات الترفيهية والسياحية

للمجال الغابي الطرقي

تعمل العديد من المجتمعات على تطوير المساحات الغابية الواقعة على أطراف المدن وتحويلها إلى "متنزهات" حضرية أو شبه حضرية، تكون فيها الوظيفة

الترفيهية أكثر أهمية من وظيفة الإنتاج¹⁸. وتُعد قابلية الوصول لهذه المجالات الغابية ودرجة تنوعها الإحيائي والمشهدي عوامل جذب رئيسية لتطوير الأنشطة الترفيهية والسياحية البيئية فيها. وتنحصر هذه الأنشطة في الجولات المنظمة في إطار مجموعات صغيرة أو بشكل فردي داخل هذه المتنزهات أو الغابات. وعلى الرغم من توقّر هذه العناصر في غابة الكرنيش إلا أنها بقيت غير مدرجة في المسالك السياحية لمدينة بنزرت. وبالبحث في أبرز المواقع الإلكترونية التي تروّج للسياحة التونسية، تغيب المجالات الغابية المدروسة عن المواقع والمعالم السياحية المميزة للمدينة. فعلى الموقع الإلكتروني لوزارة السياحة التونسية¹⁹ مثلا، لا نجد اثرا للمجال الغابي ضمن الوجهات والمسالك السياحية في تونس. ويتضح من خلال زيارتنا للمواقع الإلكترونية العشرة الأولى التي تهتم بالنشاط السياحي في تونس²⁰ وجود 7 مواقع رئيسية بمدينة بنزرت تعنى بالقطاع السياحي²¹. ويتشخصها الدقيق لمعرفة مضمونها وأهدافها من خلال جرد للكلمات المتواترة فيها، تبين لنا أيضا أن هذه المواقع لم يتم فيها استعمال كلمة "غابة" سوى مرة واحدة فقط (غابة الرمال) من مجموع 35 كلمة متواترة. ولم تذكر غابة الكرنيش فيها رغم إنها تستقطب أعدادا هامة من الزائرين سنويا.

2. زائروالمجال الغابي الطرفي لمدينة بنزرت: من هم؟ وماهي انشطتهم؟

مكنتنا نتائج الاستبيان والاستقصاء الميدانيين الذين شملا عينات مختارة من زائري المجال الغابي في بنزرت من تحديد طبيعة فئات الزائرين للمجال الغابي الطرفي لبنزرت ومختلف الأنشطة التي يقومون بها في هذه الفضاءات.

1.2. الزائرون

اعتبرنا في هذه الدراسة "الزائر للمجال الغابي" كل شخص (أو مجموعة أشخاص) برمج وقام بالزيارة بغض النظر عن موقع مقر سكناه أو المدة الزمنية

¹⁸ Jean Marc Offner, *Coronavirus, et après ? ...* Op Cit. p155.

¹⁹ <http://www.tourisme.gov.tn/fileadmin/Brochures/Fr/BrBizerte.pdf>

²⁰ <https://www.google.com/search=Guide+touristique+Bizerte>

²¹ الشواطئ والمدينة (القصبه) والجسر المتحرك والميناء القديم والمتحف البحري وغابة والرأس الأبيض.

التي قضّاها في الغابة أو الغاية من الزيارة. وعلى مستوى توزيع العينات، تم الاختيار على 4 مواقع رئيسية²² للقيام بالاستمارة وهي المنتزه الحضري بالناظور ومنتزه الريف الخاص وطريق جبل الناظور والغابة المجاورة لقرية الناظور (شكل 1)

تبين من خلال فحص معطيات الاستبيان والاستقصاء أن أغلب الزائرين ينحدرون من قرية الناظور ومدينة بنزرت والمدن القريبة وهي منزل جميل ومنزل بورقيبة. وتعتبر مدينة بنزرت مصدر العدد الأهم من الزائرين بنسبة 60% من المجموع الوافدين على المجالات الغابية وتليها قرية الناظور بنسبة 21%. أما بقية الزائرين فهم ينحدرون إما من المجالات شبه الحضريّة (بني نافع والمصيدة أساسا) أو من مدينتي منزل بورقيبة ومنزل جميل. وتتراوح درجة تردّد الزائرين للمجال الغابي شهريا بين زيارة واحدة (20% من المستجوبين) وأقل من 10 زيارات (70% من المستجوبين) وأكثر من 11 زيارة (10% من المستجوبين). وفيما يتعلق بكيفية الوصول إلى المجال الغابي تبين لنا أن ذلك مرتبط ببعده أو قرب مكان الإقامة من مجال الزيارة وكذلك بنوعية وسيلة النقل المستخدمة. فبالنسبة للقاطنين بقرية الناظور فإنّ أغلب المستجوبين يرتادون المجال الغابي إما مشيا على الأقدام أو باستخدام دراجات نارية أو عادية وذلك راجع إلى قرب مقرات الإقامة من مكان الزيارة. وفي المقابل يقضي 60% من الزائرين المستعملين للسيارات الخاصة مددا تتراوح بين 15 و30 دقيقة للوصول لوجهتهم. ويقضي الزائرون المستعملون لوسائل النقل العمومي (حافلة، سيارة اجرة، نقل ريفي...) مددا تتجاوز الساعة في المتوسط للوصول الى مبتغاهم. أما الوقت الذي يقضيه الزائرون في المجال الغابي فيتراوح بين بضع دقائق وثلاث ساعات. ويختلف الزمن المقضي حسب مكان الزيارة حيث يستفرد منتزه الريف الخاص بالزمن الأقصى، تليه طريق جبل الناظور فالغابة القريبة من قرية الناظور، في حين لا تتعدى زيارة المنتزه الحضري العشرين دقيقة. ويعتبر فصلا الربيع والخريف محبذين لدى أغلبية الزائرين للتردد على المجالات الغابية الطرفية لمدينة بنزرت. ونشير أيضا إلى إن منتزه الريف الخاص يستقطب زواره خلال كامل فصول السنة.

2.2. أسباب الزيارة

تختلف الغايات من زيارة المجال الغابي حسب الموقع الذي أنجزت فيه الاستمارة. وبصفة عامة، يتلخص الهدف من ارتياد المجالات الغابية الطرفية لمدينة بنزرت في البحث عن الهدوء والسكينة وبالتالي الرغبة في التخلص من أعراض الإجهاد النفسي الذي يفرضه نمط الحياة في المجالات الحضرية. ويعتبر جل المستجوبين أن للغابة تأثير إيجابي على حالتهم النفسية فهي تخلق لديهم حالة من الإحساس بالراحة والطمأنينة.

وتعود البحوث الأولى حول تأثير الطبيعة على صحّة الإنسان إلى الطب الياباني التقليدي²³. فللطبيعة تأثير هام على صحة الإنسان فهي تقوي جهاز المناعة لدى المرضى وتحسّن مزاجهم²⁴. ويُصطلح على تسمية هذه النظرية بالبيوفيليا. غالبًا ما تستخدم البيوفيليا لشرح العلاقة بين الطبيعة والصحة ونظرية استعادة الانتباه لشرح تحسين الأداء المعرفي. بمعنى "أنّ البشر مرتبطون بالفطرة بالطبيعة التي تلبي جميع الاحتياجات الأساسية لحياة الإنسان فهي تسمح بصحة عقلية جيدة وبالتالي فإن الطبيعة ستكون عنصرًا أساسيًا ضروريًا لتطور المجتمع، ونقصها هو مصدر العديد من السلوكيات السيئة مثل التوتر والقلق"²⁵.

وبالإضافة إلى هذه الغايات المشتركة من زيارة المجالات الغابية الطرفية لمدينة بنزرت، فإن نتائج الاستمارات بينت وجود بعض الاختلافات بين المستجوبين تعود أساسا إلى خصوصية كل موقع من مواقع الاستمارات

²³ Roger Ulrich, *View through a window may influence recovery from surgery*. Science, 224 (4647), 1984, pp.420–421.

²⁴ Qing Li, *Effect of forest bathing trips on human immune function*, Environ Health Prev Med. 15(1), 2010, pp. 9-17.

²⁵ Qing Li, *Effect of forest bathing trips on humanOp. Cit.*, p168.

■ المنتزه الحضري بالناظور

تم تدشين المنتزه رسميا يوم 17 جويلية 2016 وتبلغ مساحة المنتزه حوالي 80 هكتار من ملك الدولة الخاص جزء منها أراضي مشجرة بأكملها في نطاق امر مقاومة زحف الرمال لسنة 1935. يتميز المنتزه الحضري بالناظور بكونه فضاء عموميا لكنه غير محدد مجاليا حسب مثال الهيئة العمرانية. ظل هذا المنتزه الى عدة سنوات مغلقا نظرا لتشعب المشاكل العقارية وصعوبة التنسيق بين الأطراف الفاعلة من بلدية وإدارة الغابات ووزارة أملاك الدولة. يحتوي المنتزه على فضاء ألعاب ومركب ترفيهي ولكنه يشكو من غياب الاستغلال "الناجع" للفضاء²⁶. وبسؤالنا حول إدراك المستجوبين لوجود هذا الفضاء الترفيهي كانت إجابة 62% منهم تتلخص في عدم معرفتهم أصلا بهذا الفضاء وترتفع هذه النسبة إلى 81% لدى زائري منتزه الريف الخاص. وتفسر أسباب زيارة المكان إلى مجانية الدخول وقلة زواره إضافة إلى وجود بعض الألعاب البسيطة للأطفال رغم انها تشكو من غياب الصيانة.

■ منتزه الريف

يعتبر منتزه الريف فضاء خاصا تمت تهيئته على أطراف غابة مشجرة على أراض خاصة وخاضعة لنظام الغابات. ويحتوي على فضاء ألعاب مخصص للأطفال ومطعم وفضاء عائلي وحديقة حيوانات صغيرة واسطبل للخيل ومركز لممارسة الفروسية، إضافة إلى ملعب صغير لتعاطي كرة قدم ومسجد وبركة للطيور المائية. وقد تم تصميم هذا الفضاء بهندسة تراعي الخصائص الغابية للمكان. ويرتاد هذا الفضاء المئات من الزائرين يوميا. ويرتفع هذا العدد خلال أيام في العطل المدرسية والجامعية ونهاية الأسبوع خاصة في الأيام غير الممطرة. وتعود أسباب ارتياد الزائرين لهذا الفضاء دون سواه إلى التهيئة الجيدة لمكوناته وإلى جودة الخدمات المقدمة لهم إضافة إلى توفر الأمن وشروط السلامة في الفضاء المخصص للأطفال. ويفضل زائرو المكان القدوم في شكل عائلات بدل الحضور الفردي.

▪ طريق جبل الناظور

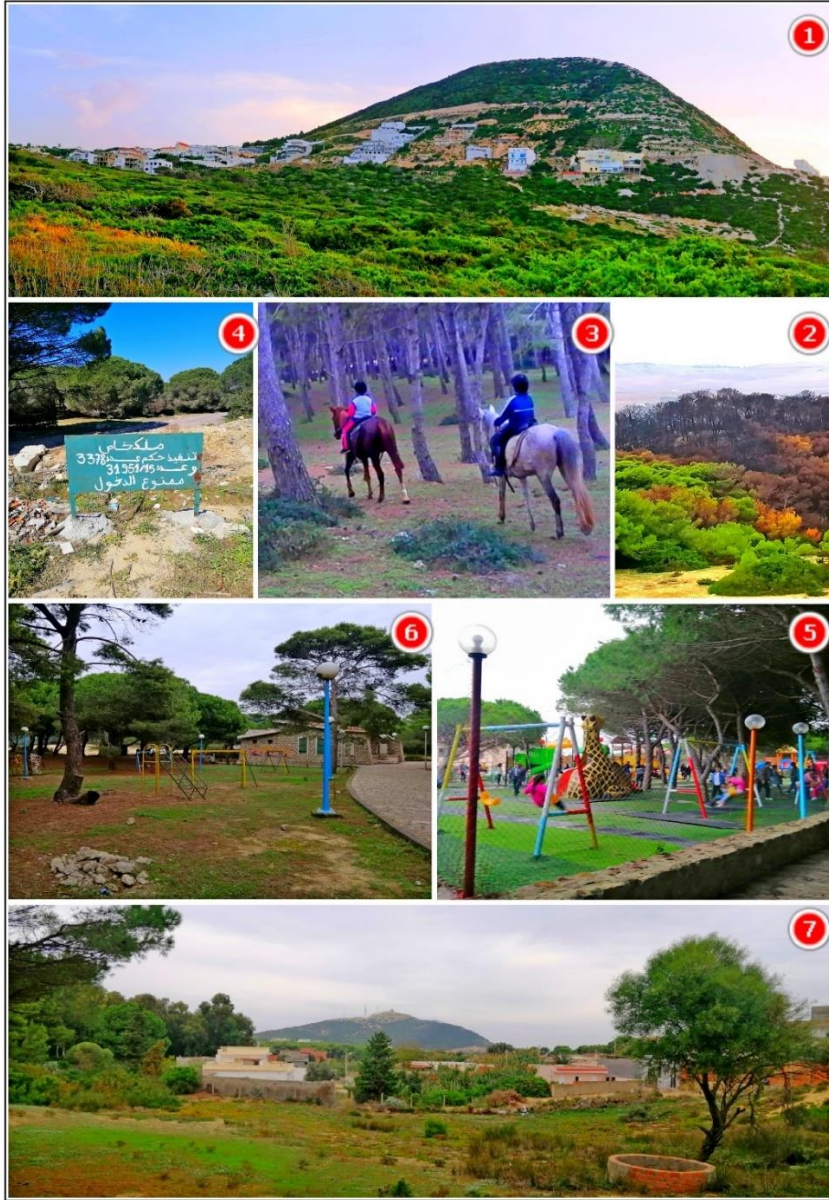
يتميّز هذا الموقع بارتفاعه وارتفاعه على الغابة والبحر معا. وتسمح الخصائص الطبوغرافية للموقع من استعمال السيارات والدرجات لبلوغه. ويعلل الزوار اختيارهم لارتياح هذا المكان ببحثهم عن الانعزال والابتعاد عن المراقبة بمختلف أنواعها بما يسمح من ممارسة بعض التصرفات (احتساء المشروبات الكحولية أو الانزواء مع الأتراب....). أما الزيارات العائليّة للمكان فيعود سببها أساسا إلى الرغبة في التمتع بجمالية المنظر البانورامي المميّز للمكان. وتشير نتائج الاستبيان أن مدة الزيارة بالنسبة للعائلات تكون في العادة قصيرة حيث لا تتعدى 30 دقيقة في المعدل. ويعود ذلك إلى انزعاج أفراد العائلات من بعض التصرفات التي يقترفها بعض الزائرين وشعور العديد منهم بعدم توفر الأمن في المكان بالقدر الكافي رغم وجود ثكنة عسكرية بالقرب من الموقع.

▪ الغابة المجاورة لقرية الناظور

تتميّز هذا الغابة بسهولة الوصول إليها لكونها مرتبطة بطريق مرقّمة بحي الكرنيش وعين مريم المجاورين. وبحكم تواجد العديد من التجمعات السكانيّة مجاورة للمجال الغابي فان الزائرين يفضلون عادة البقاء على مقربة من الطريق والمسكن. وتتعدد أسباب اختيارهم لهذه الوجهة حيث يعتبر انبساط الطبوغرافيا والكثافة المتوسطة للأشجار في هذه الغابة وبساطة تركيبها تبعا لتواضع التفرقة من العوامل الأساسية المشجعة على زيارة الموقع. ويفضل زوّاد الغابة المساحات المفتوحة منها على منتزه الريف للزيارة رغبة منهم في تفادي الاختلاط بالغير. وقد عبّر الكثير من زائري هذه الغابة شبه الحضريّة عن الغايات من زيارتهم لها وهي أساسا، الترفيه عن النفس والبحث عن الهدوء والرغبة في الهروب من ضوضاء المدينة وتجنب الاكتظاظ المروري ومظاهر الفوضى وتلوث الهواء فيها. كما يوقّر هذا الفضاء أجواء هادئة ومريحة للالتقاء بالأصدقاء والعائلة. كما يعتبر المستجوبون أن مثل هذه الفضاءات المفتوحة أكثر ملائمة لأنشطتهم الرياضية المتنوعة.

خاتمة

توقّر الغابة شبه الحضرية ببزرت لزائريها وظائف متعددة ومتنوعة. وتعتبر الوظيفة الترفيهية، وظيفية أساسية لهذه المجالات الغابية الطرفية. وتشكو هذه المجالات من عدة معوقات تحول دون تحقيق وظائفها لعل من أهمها المشاكل العقارية والتنظيمية والتسييرية المعقدة لهذه الفضاءات والاكتساح العمراني الحثيث والعشوائي الذي تتعرض له خاصة منذ 2011. وقد انجر عن ذلك بروز مشاكل أخرى مرتبطة بالتلوث حتى أضحت هذه المجالات الغابية مصبات عشوائية للنفايات المنزلية ومواد البناء. وبالرغم من وجود القانون عدد 90 لسنة 2005 الذي يهدف الى معالجة المشاكل العقارية المطروحة عند انجاز وتهيئة المنتزهات فقد ظلت هذه المشاكل عالقة مما حال دون بلوغ الأهداف المرسومة. واعتبارا إلى أهمية هذه المجالات الغابية شبه الحضرية في حياة السكان والخدمات المتعددة التي تقدمها وتزايد المشاكل الناجمة عن تدهورها، يتعين على كل الفاعلين في مدينة بزرت (بلدية ودائرة الغابات ومجتمع المدني...) التدخل لتهيئة هذه الفضاءات ولحوكمة إدارتها.



الصور: 1 - مبان قريبة من الرأس الأبيض (في الخلفيّة جبل الناظور)، 2- آثار حريق قرب قرية الناظور، 3- ممارسة الفروسية قرب منتزه الريف، 4- لافتة تحدد ملكية خاصة 5- ألعاب للأطفال بمنتزه الريف، 6- غياب صيانة ألعاب الأطفال في المنتزه الحضري ببزرت، 7- توسّع المساكن على حساب الغابة والمنتزه الحضري في دوار الرمل. (جميع الصور للمؤلفين ما عدا الصورة رقم 3)